# قصة الشيعة

نستطيع أن نفهم المذهب الشيعى جيدا إلا إذا عرفنا قصة نشأة هذا المذهب وتطوره. وذلك لأن لهذا المذهب خصوصية تميزه عن مذهب السُنّة من حيث النشأة والتطور. فالمذهب المالكى أو الشافعى أو الحنبلى أو الحنفى بينها اختلافات ولكنها اختلافات فى الفروع والفهم والتفسير للآيات والأحاديث وفى القياس والاستنباط، أى اختلافات فى المنهج. ولم تكن هناك أسباب سياسية لهذه الاختلافات، أما الشيعة فهم فى الأساس أصحاب نظرية فى الحكم، وقد أثاروا خلافات شديدة وصلت إلى حد الحروب الدموية حول من هو الأحق بالخلافة.

فالشيعة فى بدايتها كانت أقرب إلى الحزب السياسى المعارض للحزب الحاكم بالتعبير الحديث. لكنه حزب يصبغ مطلبه السياسى بصبغة دينية، فيبحث لها عن أدلة وأسانيد فى الكتاب والسُنّة، ويرفض رواة الحديث من الفريق الآخر (فريق السُنّة) ويترتب على ذلك ظهور نظرية سياسية ملتبسة بالدين، أو مذهب دينى ملتبس بالسياسة، ثم نشأ له فقه خاص قد لا يختلف كثيرا عن فقه السُنّة عند الشيعة الإمامية والزيدية ولكنه يختلف كثيرا وإلى حد التناقض عند غيرهما من الفرق. وككل حركة معارضة سياسية دخل فيها كل من أراد محاربة السلطة الحاكمة، كما دخل فيها كل من أراد محاربة أهل السُنّة، بل وكل من أراد محاربة الإسلام من الداخل. ولذلك أصبحت ساحة الشيعة خليطا عجيبا من الكفر والإيمان، ومن الاتفاق والاختلاف، ومن الحقائق والأكاذيب، ومن العقل والخرافة، وهذا هو سر البلبلة التى عانى منها أهل السُنّة فى علاقتهم بالشيعة بعد ذلك.

وأضيف إلى ذلك عاملان جعلا الفهم والتفاهم بين السُنّة والشيعة من الأمور الصعبة. **العامل الأول**: هو أن بعض فرق الشيعة تحولت إلى فرق باطنية، تعمل فى الخفاء، ولا تعلن أفكارها ومواقفها، وتتناقل سرا الأفكار والكتب بعيدا عن متناول أهل السُنّة، وهذا الغموض أدى إلى الشك والتباعد، ثم أدى إلى العداء، فوق ما كان قائما من عداء لأسباب سياسية.

**والعامل الثانى**: هو ما عرف عن مبدأ (التقية) عند الشيعة، وفهم أهل السُنّة أن هذا المبدأ يعنى أن الشيعى يظهر غير ما يبطن، وأن مسايرته للآخر ليست عن اقتناع أوصدق، ولكنها مجرد تمويه، ولهذا أصبح أهل السُنّة لايطمئنون إلى مايقوله الشيعة لأنهم لايستطيعون أن يفرقوا بين ما هو حق وصدق وبين ما هو (تقية).

لكن مذهب الشيعة الآن مختلف.

فمن ناحية لم تعد الخلافات السياسية القديمة عاملا مؤثرا فى العصر الحاضر، أوهذا مايجب أن يكون، إذ ليس مطروحا الآن أن يتولى حكم المسلمين واحد من آل البيت، ونحن فى عصر الشعوب والديمقراطية والأحزاب والانتخابات، ولم يعد العقل المعاصر يتقبل توارث الحكم فى نسل أسرة واحدة حتى ولو كانت من نسل النبىﷺ خاصة وأن الرسولﷺ نفسه هو الذى أعلن أن الأنبياء لا يورثون، كما ورد فى الحديث الصحيح: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.." فالخلاف إذن خلاف تاريخى ليس من العقل أو الحكمة أن نجعله يستمر أكثر من أربعة عشر قرنا بينما لا نستطيع تولية الإمام على أوالإمام الحسن أوالحسين الآن، وليس أمامنا سبيل لتدارك الظلم الذى حاق بهم. ولا نستطيع أن نعزل أبا بكر وعمر وعثمان، وباختصار لا نستطيع أن نعيد عجلة التاريخ إلى الوراء.

ومن ناحية أخرى فقد تكشف الكثير من أسرار وخفايا الشيعة وأصبحت كتبهم منشورة ومتداولة، وأفكارهم معلومة، المعتدلة منها والمتطرفة، كما أن كتب وأفكار

السُنّة معروفة ومتاحة، المعتدلة منها والمتطرفة، وبالتالى لم يعد التخوف من (التقية) له ما يبرره.

ويضاف إلى ذلك أن كثيرا من علماء الشيعة قاموا ويقومون بعملية مراجعة شاملة سارت شوطا طيبا، وأعلنوا التخلى عن بعض الأفكار القديمة التى كانت وليدة ظروف وأسباب سياسية واجتماعية قديمة ترجع إلى القرون الأولى للإسلام، ولم تعد هذه الظروف والأسباب قائمة الآن، وهذه المراجعات أيضا منشورة فى كتب متاحة للجميع. والحوزات العلمية فى إيران والعراق تقترب فى الفقه والتفسير من السُنّة يوما بعد يوم. كما أن أهل السُنّة يتفهمون ما فى مذهب الشيعة الإمامية والزيدية مما يوافق الشرع ويمثل إضافة لإثراء الفقه الإسلامى، وهذا الاتجاه نحو التقارب يجد من يعارضه فى صفوف الشيعة وفى صفوف السُنّة أيضا، ولكن الواجب يقتضى تشجيع هذا التيار، لأن التقريب بين المسلمين المختلفين من أهم الواجبات التى فرضها الله على المسلمين. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات آية ١٠) و ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال آية ٤٦) وفى الحديث الشريف "وكونوا عباد الله إخوانا"....الخ.

□□□

وبداية الشيعة كانت فى الخلاف حول من هو الأحق بالخلافة بعد الرسول ﷺ. فقد توفى الرسول ﷺ ولم يحدد بشكل قاطع صريح من يخلفه، ولم يبين كيفية اختيار من يحكم المسلمين بعده، وهذه حكمة بالغة، لأن وسائل الاختيار سوف تختلف من عصر إلى عصر، والإسلام جاء لكل العصور، ولكل الشعوب، ولهذا ترك أمور تنظيم الحكم لاجتهاد الناس وفقا للحديث الشريف " أنتم أدرى بشئون دنياكم" . فإذا كان اختيار الحاكم فى عصر باتفاق النخبة من أهل الحل والعقد فإنه سيأتى عصر يكون فيه الاختيار بالانتخاب المباشر الذى يشترك فيه الناس

جميعا وهكذا تختلف وسائل الاختيار من عصر لعصر ومن مجتمع لآخر وتبقى شروط الحاكم هى هى: العدل ومراعاة مصلحة الناس.

وكان من الطبيعى أن يحدث الاختلاف على الحكم بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ، وهذه مسألة ترجع إلى الطبيعة البشرية، فقد سارع الأنصار إلى عقد اجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ليبتوا فى الأمر، وأدركهم أبوبكر وعمر بن الخطاب وأبوعبيدة بن الجراح، وفى هذا الموقف اختلف للجتمعون إلى فريقين، وهم جميعا من كبار الصحابة. فريق قال: يجب أن يكون الخليفة من الأنصار، ودللوا على ذلك بأن الرسول ﷺ أقام فى مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الإسلام فلم يؤمن إلا قلة، ولم يمنعوا الرسول ﷺ من الأذى، وبعد ذلك هاجر إلى المدينة فوجد النصير القوى من الأنصار.. آمنوا به.. ووفروا له الحماية.. وحاربوا معه.. واقتسموا أموالهم مع المهاجرين.. فهم أولى الناس بأن يخلفوه.

أما الفريق الآخر من المهاجرين فقالوا: إن الخلافة يجب أن تكون فيهم، لأنهم أول من آمن به، وأكثر من صبروا على الأذى، وهم قومه وعشيرته، وهم من قريش والعرب لا تدين إلا لهم. وكما هى العادة حاول البعض إيجاد حل وسط فظهر اقتراح بأن يكون من الأنصار أمير، ومن المهاجرين أمير، ورفض المهاجرون هذا الاقتراح، وحسم الخلاف عمر بن الخطاب حين أخذ بيد أبى بكر الصديق وأعلن البيعة له على أساس أنه أول من آمن من الرجال، وهو صاحب النبى ﷺ فى رحلة الهجرة، وأنابه الرسول ﷺ عنه فى الصلاة عندما كان مريضا مرض الموت، وانتهى الأمر بأن تقدم الجميع لمبايعة أبى بكر.

لكن الإمام عليا لم يكن حاضرا هذا الاجتماع لانشغاله فى تجهيز الرسول ﷺ والإعداد لدفنه، وتكوّن رأى ثالث هو أن تكون الخلافة فى بيت النبى ﷺ، وأقرب

الناس إليه هو الإمام علىّ، فهو أول الناس إسلاما، وهو زوج السيدة فاطمة بنت النبىﷺ، ومكانته فى الجهاد والعلم بالدين لا يمكن إنكارها. وإذا قال المهاجرون إنهم قوم النبى وعشيرته فأهل بيت النبىﷺ أولى. واستندوا إلى قول الله تعالى فى سورة آل عمران٣٣- ٣٤: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

وقالوا إن الرسولﷺ هو الصفوة من نوح، وهو وارث علم آدم، وعلىّ بن أبى طالب وصىُّ محمد ووارث علمه، وجعلوا من هذه الآية دليلا على أحقية ذرية الرسولﷺ فى الخلافة،وأن هذا الحق مقرر فى الكتاب والسُنّة. وإن كان الإمام علىّ قد تأخر فى مبايعة أبى بكر إلا أنه بايعه فى النهاية وانتهى الاختلاف، ولكن أنصار هذه المواقف الثلاثة ظلوا مختلفين. الأنصار، والمهاجرون، وأهل البيت، وهذا الاختلاف تحول بعد ذلك إلى صراع سياسى ثم تحول إلى مأساة سفكت فيها دماء عزيزة وغالية، هى دماء الإمام علىّ والإمام الحسين وكثير من أهله جعلت هذا الاختلاف يتحول إلى ثأر تاريخى.

ولم يظهر الاختلاف فى عهد أبى بكر وعمر، لانشغال المسلمين بالحروب والفتوح، ولرضا المسلمين عن حكمهما لما فيه من عدل وإنصاف. لكن الاختلاف تفجر بقوة ابتداء من عهد عثمان وظل يزداد اشتعالا بعد مقتله. فقد كان عثمان من بنى أمية، واستعان بالأمويين، وتحركت الحساسيات القديمة التى كانت قبل الإسلام بين بنى هاشم وبنى أمية، ويصف أحمد أمين هذه الفترة فى كتابه (فجر الإسلام) فيقول: انتشرت الجمعيات السرية فى آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره، ومن هذه الجمعيات من كانت تدعو إلى علىّ، ومن أشهر الدعاة له عبد الله بن سبأ - وكان من يهود اليمن فأسلم- وتنقل فى البصرة والكوفة والشام ومصر وكان

يقـول: (لكل نبي وصيّ، وعليّ وصيّ محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسـول الله ووثب على وصيته؟) ويقول أحمد أمين: إن عبد الله بن سـبأ كان من أكبر الذين حرَّضوا على قتل عثمان. ولما قُتل عثمان بايع كثير من المسلمين الإمام عليًّا بالخلافة، وأيده كثير من كبار المهاجرين، لكن طلحة وابن الزبير خرجا على عليّ وشـاركا في الإيعـاز بأن الإمام عليا كان له ضلع في قتـل عثمان وعلى أقل تقدير فإنه لم يبادر إلى نصرتـه وحمايته ممن قتلوه. كما أنه -بعـد أن بويع بالخلافة- لم يقتص من قتلة عثمـان. ثم أعلن كل مـن طلحة والزبير أنه هو الأولى بالمطالبـة بدم عثمان لأن كلا منهما من السـتة الذين اختارهم عمر للشـورى. بينما قال معاوية إنه أولى الناس بعثمان، لأنه من أهل بيته. وأمام هذا الانشقاق وقف جماعة من كبار الصحابة بعيدا فلـم يبايعوا عليا ولم يبايعوا غيره، وفضلوا العزلة، ومن أشـهرهم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وسـعد بن أبي وقاص، وحسـان بن ثابت ، وأسـامة بن زيد. وبعد ذلك انتهى أمر طلحة والزبير بانهزامهما وقتلهما في موقعة الجمل، وأما معاوية فكانت له جيوش في الشام، وخاض حربا ضد عليّ في موقعة صِفّين، فلما أحس أن الدائرة كادت تدور عليه أمر جنوده برفع المصاحف على الرماح، وطلب التحكيم إلى كتاب الله. وهكذا كانت بداية النشـأة لثلاث فرق من أكبر الفرق الإسـلامية هي الخوارج، والشيعة، والمرجئة.

□□□

الخـوارج قالوا: إن الإمام عليًّا أخطأ حين قبل التحكيم فقد اختار معاوية أن يمثله عمرو بن العاص، واختار على أن يمثله أبو موسـى الأشـعرى، واتفقا على أن يخلع كل منهما صاحبه، وبدأ أبوموسى الأشعرى فأعلن أنـه يخلع الإمام عليًّا، لكن عمرو ابن العاص قام فأعلن أنه يثبت معاوية خليفة للمسلمين، وظل الخوارج يعارضون

الإمام عليًا لأنه قبل خديعة التحكيم ويتهمونه بالكفر ويرفعون شعار (لاحكم إلاالله) وأصبح اسمهم الخوارج لأنهم خرجوا على الإمام علىّ، وظل الخوارج شوكة فى جنب الدولة الأموية وحاربوها حربا متصلة، كما حاربوا الإمام عليًا فى موقعة النهروان وهزمهم وقتل منهم الكثير، وزادت هذه الهزيمة فى كراهية الخوارج للإمام علىّ حتى دبروا قتله، وفعلا قتله عبد الرحمن بن ملجم وكان جيش الإمام علىّ قد قتل الكثير من أسرة زوجته فى موقعة النهروان.

وكان أهم أفكار الخوارج هى: صحة خلافة أبى بكر وعمر والسنوات الأولى من خلافة عثمان، وصحة خلافة علىّ وأنه أخطأ فى التحكيم ولهذا حكموا بكفره، وطعنوا فى الصحابة الذين قاتلوا الإمام عليًا فى موقعة الجمل: السيدة عائشة، وطلحة، والزبير، وحكموا بكفر أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص. ووضعوا نظرية للخلافة هى أن تكون بالاختيار الحر بين المسلمين، ومن يختاره المسلمون لايجوز أن يتنازل أو يقبل التحكيم، وليس من الضرورى أن يكون الخليفة من قريش. وتحولت أفكار الخوارج بعد ذلك من أفكار تدور كلها حول الخلافة والسياسة إلى أفكار لها صبغة دينية، وقالوا: من آمن بالله ورسوله ولم يعمل بأوامر الدين من صلاة وصيام وزكاة وعدل فهو كافر. لأن العمل جزء من الإيمان، وخالفهم كثير من فقهاء السنة وقالوا بعدم جواز الحكم بالكفر على من ينطق بالشهادتين، وتارك الفروض مؤمن بالله ويعصى أوامره وأمامه باب التوبة مفتوح، وإن الله لايغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

□□□

والمرجئة أيضا بدأت حزبا سياسيا، أعلن رفضه لهذه الاختلافات القائمة والحروب على الخلافة، ورفضوا الانحياز لفريق ضد فريق، كما رفضوا إصدار أحكام إدانة لفريق معين، وقالوا: نرجئ أمر الفريقين حتى يكون الله هو الذى يحكم بينهما.

وانتقلوا من المسألة السياسية إلى المسائل الدينية فأصبحت لهم أفكار خاصة بهم في الدين، حول الإيمان، والكفر، ومن هو المؤمن ومن هو الكافر، بعد أن رأوا أن الخوارج يحكمون بالكفر على من يختلفون معهم، والشيعة كذلك، فزاد الخوارج وحكموا بأن كل كبيرة يرتكبها الإنسان هي كفر، وكان الاختلاف بين الفرق الإسلامية حول مرتكب الكبيرة هل هو كافر أو ليس كافرًا، سببًا في فتنة أخرى.وقد دمرت الدولة العباسية هذه الطائفة.

□□□

في هذا الوقت الذي اشتدت فيه اختلافات المسلمين، تبادل المسلمون الاتهام بالكفر، يرمي به بعضهم بعضا حتى إن الخوارج حكموا على الإمام عليّ ذاته بالكفر.. في هذا الجو المضطرب الذي يصدق عليه وصف طه حسين له بأنه (الفتنة الكبرى) أصبحت الشيعة فرقة لها نظرية في السياسة ذات صبغة دينية، والتبست السياسة بالدين وبالفقه، وظهرت في داخل الشيعة فرق مختلفة، قالوا: إن الإمامة -أوالخلافة- ليست باختيار الأمة، بل هي ركن من أركان الدين، ولا يجوز لنبي أن يترك الأمة دون تحديد الإمام بعده، ويكون هذا الإمام معصوما من الخطأ، وأن النبي ﷺ هو الذي عين الإمام عليًّا إماما بعده بنصوص وبأحاديث نبوية يذكرونها لا يقرها أهل السُنّة. ونشأت فكرة الوصية، ولقب الإمام عليّ بلقب (الوصي) وبعده فإن الإمام -أو الحاكم- يجب أن يكون من نسله، ولا يجوز أن يكون الإمام من غير أهل البيت.

وقد اتفقت الخوارج والشيعة على أن خلفاء بني أمية مغتصبون للسلطة وظالمون لأهل البيت، فاشتركوا في معارضتهم، يحاربونهم جهرا إذا تمكنوا من ذلك، وفي الظروف التي لا تسمح لهم بمحاربتهم في العلن فإنهم يحاربونهم في السر، وفقا لمبدأ التقية. ولكن شدة الحذر من جانبهم جعلت بني أمية يراقبونهم ويتخذون أقصى

درجات الحذر، ورصدوا أعوانهم لمتابعة تحركات وتجمعات الشيعة، واضطهدوا كل من عرف عنه الانتماء إلى هذه الفرقة، حتى الإمام الحسن سلطوا عليه من يطعنه بالخنجر فى جنبه فأصيب ولم يمت، وحاربوه حتى أعلن ابتعاده عن السياسة والخلافة، ثم قتلوا الإمام الحسين فى موقعة كربلاء، ثم تتبعوا أهل البيت بالإهانة والقتل، وسجنوا كل من عرف عنه انتماؤه للشيعة، إلى أن جاء الحجاج بن يوسف الثقفى فقتل منهم أعدادا كبيرة، وفى عهده قال الرواة (إن الرجل يقال له زنديق أوكافر أحب إليه من أن يقال إنه من شيعة علىّ). وينقل أحمد أمين أمثلة كثيرة على الاضطهاد الذى لا مثيل له الذى تعرض له الشيعة، من ذلك أن رجلا -يقال إنه جد الأصمعى- وقف أمام الحجاج وقال: أيها الأمير، إن أهلى عقّونى فسمونى عليا، وإنى فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك الحجاج وولاه عملا، كما ينقل عن المدائنى: (إن زياد بن سمية كان يتتبع الشيعة فى الكوفة، وهو يعرفهم، لأنه كان منهم أيام علىّ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخيل، وطردهم من العراق وشردهم، فلم يبق منهم أحد. وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق بأن شهادة الشيعة وأهل بيت علىّ لا تقبل، وأمرهم أن يقرّبوا أنصار عثمان بن عفان وينشروا فضائله، وأن يبلغوه باسم كل من يروى فضائل ومناقب عثمان واسم أبيه وعشيرته، وفعل حكام الأقاليم ذلك فتنافس الناس فى الإشادة بعثمان، وكتب معاوية إلى عماله: (انظروا إلى من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه). وحتى بعد زوال دولة الأمويين ومجىء دولة العباسيين، اضطهد العباسيون الشيعة ونكلوا بهم بأكثر مما فعل الأمويون لأنهم كانوا يعلمون أسرارهم وخفاياهم عندما كانوا منضمين إليهم ويعملون معهم على إسقاط حكم بنى أمية.

□□□

يقول أحمد أمين: إن هذه الاضطهادات كان من نتائجها لجوء الشيعة للسرية ونظامها، حتى أصبحوا أقدر الفرق الإسلامية على العمل فى الخفاء والكتمان لكى يتمكنوا من عدوهم. وهذه السرية استلزمت الالتجاء إلى الرموز والتأويل. كما كان من أثر ذلك أيضا اصطباغ أدبهم بالحزن العميق، والنواح والبكاء، وذكر المصائب والآلام. واستخدموا السلاح الذى حاربهم به الأمويون، وكما وضع الأمويون أحاديث نسبوها إلى الرسول ﷺ عن فضائل الصحابة وخاصة عثمان بن عفان دون ذكر علىّ والهاشميين، فقد وضع الشيعة أحاديث نبوية كثيرة جدا فى فضائل علىّ، وفى المهدى المنتظر، وفيما يؤيد مذهبهم، وفاقوا الأمويين فى ذلك، وتخصص بعض علمائهم فى علم الحديث وسموا (الثقات) وحفظوا الأسانيد الصحيحة، ثم وضعوا بهذه الأسانيد أحاديث تتفق ومذهبهم، ويقول أحمد أمين إنهم أضلوا بهذه الأحاديث كثيرا من العلماء لانخداعهم بالأسانيد، بل كان منهم من سُمى بالسُّدى، ومنهم من سمى بابن قتيبة، فكانوا يروون عن السدى وابن قتيبة، فيظن أهل السُنّة أنهما المحدثان الشهيران، مع أن السدى وابن قتيبة اللذين ينقل عنهما الشيعة الحديث إنما هما من الغلاة، وقد أدى ذلك بعلماء الحديث من أهل السُنّة إلى التمييز بينهما بنسبة الحديث إلى السدى الكبير أو السدى الصغير، الأول ثقة، والثانى من الذين اشتهروا بوضع الحديث ونسبته إلى الرسول ﷺ، وكذلك ابن قتيبة، فقد ميز علماء الحديث بينه وبين عبد الله بن مسلم بن قتيبة راوى الحديث الذى يثق أهل السُنّة فى روايته.

كذلك وضع الشيعة الكتب وملئوها بتعاليم نسبوها إلى أئمة أهل السُنّة، مثل كتاب (سر العارفين) الذى نسبوه إلى الإمام الغزالى، ومن ذلك ما نراه فى الكتب من المبالغات وإسناد كل فضل وكل علم إلى الإمام علىّ إما مباشرة وإما فى ذريته.

حتى قالوا: إن واصل بن عطاء -إمام المعتزلة- تلقى العلم عن واحد من ذرية علىّ هو أبوهاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، وأن أبا هاشم تلقى العلم عن جده الذى كان تلميذا للإمام علىّ. وكذلك قالوا: إن فقه الإمام السنى أبا حنيفة مأخوذ عن جعفر الصادق، وإن مالك بن أنس قرأ على ربيعة الرأى الذى استمد علمه من سلسلة تتصل بالإمام علىّ. وإن فقه الإمام الشافعى يرجع إلى الإمام علىّ لأن الشافعى كان تلميذا للإمام مالك. بل قالوا: إن فقه عمر بن الخطاب يرجع إلى الإمام علىّ لأنه كان يرجع إليه فيما يشكل عليه من المسائل، ونسبوا إليه أنه كان يقول: لولا علىّ لهلك عمر. وكذلك اعتمدوا فى تفسير القرآن على عبد الله بن عباس وقالوا: إنه أخذه عن علىّ، ورووا أنه قيل لابن عباس: أين علمك من علم ابن عمك (الإمام علىّ)؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر للحيط. وقال الشيعة: إن أبا الأسود الدؤلى واضع علم النحو أخذ هذا العلم عن علىّ الذى أملى عليه: الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف.. وعلّمه تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة، وتقسيم الإعراب إلى رفع ونصب وجر وجزم، وهكذا لم يدع الشيعة علما إلا ونسبوا أصله إلى الإمام علىّ.

□□□

ومن الواضح أن أحمد أمين تحامل على الشيعة، وبالغ فى أمرهم حتى وصل إلى القول بأن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على الدولة الإسلامية.. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.. ويرى أحمد أمين أن اليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة، والقول بأن النار محرمة على الشيعى إلا قليلا، كما قال اليهود: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾(آل عمران-آية٢٤)

والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم إن نسبة الإمام علىّ إلى الله كنسبة المسيح إلى الله، وقولهم إن اللاهوت اتحد بالناسوت فى الإمام على، وإن النبوة والرسالة لم تنقطع بوفاة الرسول ﷺ ولن تنقطع أبدا، فمن اتحد فى اللاهوت فهو نبى. وتحت ستار التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح، وتجسيم الله، والحلول، أى أن تحل الروح الإلهية فى الإمام، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام، وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية، بما فى نفوسهم من كراهية للعرب ودولتهم، والسعى لاستقلالهم.

ويستشهد أحمد أمين بقول المقريزى: (اعلم أن السبب فى خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانت لها سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر على أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب، وكان العرب فى نظر الفرس أقل الأمم خطرا، تضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى.. فرأوا أن الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علىّ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى).

ويشير أحمد أمين إلى قول المستشرق «ولهوسن» إن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية، ودليله على ذلك أن مؤسسها عبدالله بن سبأ يهودى. كما يشير إلى قول مستشرق آخر هو (دوزى) بأن أساس الشيعة فارسى، فالعرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالملك، وبالوراثة فى البيت المالك، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة، وقد مات محمد ﷺ ولم يترك ولدا، فأولى الناس بعده ابن عمه علىّ بن أبى طالب، فمن أخذ الخلافة منه كأبى بكر وعمر وعثمان والأمويين فقد اغتصبها من مستحقها. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة

فيها معنى إلهى، فنظروا هذه النظرة نفسها إلى علىّ وذريته، وقالوا: (إن طاعة الإمام أول واجب، وإن طاعته طاعة لله).

والرأى الذى توصل إليه أحمد أمين عن تأثير الفرس على التشيع يتناقض مع الحقيقة التاريخية وهى أن التشيع للإمام علىّ بدأ قبل دخول الفرس فى الإسلام، ولكنه بدأ بداية ساذجة، بالقول بأن الإمام عليًّا أولى من غيره من ناحية كفايته وعلمه وجهاده فى الإسلام، ومن الناحية الأخرى لقرابته للنبىﷺ وقربه منه، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، لكن حزب الشيعة الذى نشأ بعد وفاة النبىﷺ، ازداد نموا بمرور الزمن وبالمطاعن فى عثمان، هذا التشيع أخذ -بعد ذلك- صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى فى الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وكل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم، وكان أكبر العناصر التى دخلت الإسلام العنصر الفارسى فكان من الطبيعى أن يكون لهم أكبر الأثر.

وقد بالغ الشيعة فى القول فى حب علىّ حتى جعله البعض منهم مساويا لحب الله، ومن أشهر الأدباء، والشعراء الشيعة أبو الأسود الدؤلى، وله قصيدة يقول فيها:

بنو عم النبى وأقربوه أحب الناس كلهمو إليّا

أحبهم كحبِّ الله حتى أجىء إذا بُعثتُ على هويا

والشاعر المشهور كثيّرعزة كان شيعيا من الغلاة، ومن شعره فى آل علىّ وأحقيتهم فى خلافة الرسول ﷺ:

فإن هى لم تصلح لحى سواهمو إذا فذوو القربى أحق وأقرب

□□□

ومن يدرس تاريخ الشيعة وتعاليمهم فسيجد نفسه أمام أقوال كثيرة متضاربة ومتناقضة بشكل يثير الحيرة. فمن يؤيدون الشيعة يؤيدونهم بقوة، ويدافعون عن كل أعمالهم وأفكارهم، ويبررون الرجعة والتقية، وتقديس الأئمة، والقول بالمهدى

المنتظر، ولعن الخلفاء الراشـدين على المنابر. ومن يعارضون الشيعة يلصقون بهم اتهامات كثيرة تصل إلى حد اتهامهم بالخروج على الإسـلام ويسـتدلون على ذلك بقـول البعض عن تأليـه الإمام عليّ أو نبوته أو اختلاط ما هو إلهى بما هو إنسـانى فى شـخص الأئمة، وقد امتلأت الكتب بأقوال الطائفتين، ولذلك يجب الحذر عند الرجوع إلى الكتب القديمة، وتناولها بمعايـير النقد، والتحليل التاريخى والموضوعى، وإلا فسـوف يجد الإنسـان نفسـه وقد وقع من حيث لا يدرى فى تصديق كتابات كانت تهدف إلى تحقيق مصالح سياسية أو شخصية.

فنحن نجد الباحث الباكستانى «إحسان إلهى ظهير»يقول فى كتابه (الشيعة و السُنّة) إن عبـدالله بن سـبأ أراد مزاحمة هذا الدين بالنفاق والتظاهر بالإسـلام لأنه عرف هو وذووه أنه لا يمكن محاربته وجها لوجه، ولا الوقوف أمامه جيشـا لجيش، فإن أسـلافهم من اليهود: بنى قريظة، وبنى النضير، وبنى قينقاع جربوا هذا فرجعوا خاسرين، فخطط عبدالله بن سـبأ هو ويهود صنعاء خطة ذهب بها هو ورفاقه إلى المدينة، عاصمة الخلافة، فـى عصر كان يحكم فيه عثمـان بن عفان وهو صهر رسـول الله ﷺ، وصاحبه، وهو الذى قال عنه الرسـول إنه (ذو النورين) فبدءوا ينتظرون الفرصة، وجعلوا الإمام عليا ذريعة يتولونه ويتشيعون له ويتظاهرون بحبه، وعلىّ منهم برىء، وظلوا يبثون فى نفوس المسلمين سموم الفتنة والفسـاد ويحرضون على عثمان خليفة رسول الله الذى ساعد الإسـلام والمسلمين بماله كما لم يسـاعدهم أحد، فهو الذى تولى تجهيز الغزوات ومنها جيش العسرة حتى قال له الرسول ﷺ: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم"أى إن هذا العمل يغفر لعثمان كل ما يعمله بعد ذلك، وقد بشـر الرسـول عثمان بالجنة مرات ومرات وأخبره بأنه سـيموت شـهيدا. لكن جماعة عبد الله بن سـبأ ظلت تنشر فى المسلمين عقائد تتنافى مع عقائد الإسلام، وكان هدفها الإضرار بالإسلام

والدس فى تعاليمه والانتقام منه وسمت نفسها (الشيعة) لعلىّ ولا علاقة لها به، وقد تبرأ منهم، وعذبهم فى حياته، وأبعدهم بنوه ولكن الحقيقة غابت عن المسلمين مع مرور الزمن، وفازت اليهودية بعد ما وافقتها للجوسية من ناحية والهندوسية من ناحية أخرى وفازت بتحقيق مقاصدها وهى إبعاد أمة محمدﷺ عن رسالته التى جاء بها. وقد اعترف كبار الشيعة ومؤرخوهم مثل «الكشى» من علماء القرن الرابع قال فى كتاب (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) الذى يعتبر من أصول الشيعة: ذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم، ووالى عليا عليه السلام، وكان يقول -وهو على يهوديته- فى يوشع بن نون بالغلو، فقال فى إسلامه بعد وفاة الرسول فى علىّ مثل ما كان يقوله فى يوشع بن نون، وكان أول من أشهر القول بأن إمامة علىّ فريضة من فرائض الإسلام، وقال بأن كل من يخالف ذلك كافر، وهذا ما يقوله غلاة الشيعة.

□□□

لكن الشيعة -على الجانب الآخر- يقولون شيئا آخر، وفى كتاب للسيد «محمد باقر الصدر» وهو من علماء الشيعة عنوانه (التشيع ظاهرة طبيعية فى إطار الدعوة الإسلامية) يقول: إن بعض الباحثين يرون التشيع ظاهرة طارئة فى المجتمع الإسلامى، وإن القطاع الشيعى من جسم الأمة الإسلامية تكوّن على مر الزمن نتيجة أحداث وتطورات اجتماعية معينة، أدت إلى تكوين فكرى ومذهبى خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع بالتدريج، ومنهم من يفترض أن عبدالله بن سبأ ونشاطه السياسى هو الأساس لقيام ذلك التكتل الشيعى. ودور عبد الله بن سبأ فيما يتعلق بالتشيع فى نظر جمهور أهل السُنّة يكاد يكون حقيقة ثابتة، ولكن بعض الدراسات التاريخية الحديثة أثبتت عدم الوجود التاريخى لهذه الشخصية، وتعتبره من

الخرافات والأوهام، ويستشـــهد بالدكتور «أحمد محمد صبحى» الأستاذ بجامعة الإســـكندرية فى كتابه (نظرية الإمامة) الذى ذكر أن المستشـــرقين «فلهاوزن» و«فريـــد ليندر» توصلا إلى أن ابن ســـبأ شـــخصية من اختـــلاق المتأخرين. كما استشـــهد بقول طه حســـين فى كتابه (الفتنة الكبرى) الجزء الثانى: إن عبد الله بن سبأ لم يكن إلا وهما. واستشـــهد أيضا بالدكتور محمد كامل حســـين الذى قال فى كتابه (أدب مصـــر الفاطمية) إن قصة عبد الله بن ســـبأ أقـــرب إلى الخرافات منها إلى أى شـــىء آخر، وبالدكتور حامد حفنى داود فى مقدمته لكتاب (عبدالله بن ســـبأ) للسيد مرتضى العســـكرى طبعة بيروت: إن ابن سبأ من أعظم الأخطاء التاريخية التى أفلتت مـــن زمام الباحثين، وغم عليهم أمرها، فلم يفقهوها ويفطنوا إليها.. هذه المفتريات التى افتروها على الشيعة حتى لفقوا عليهم قصة عبدالله بن سبأ فيما لفقوه واعتبروها مغمزا يغمزون به عليهم، ويستشهد أيضا بقول الشيخ محمد جواد مغنية -من كبار الباحثين الشـــيعة للجددين-: إن عبدالله بن ســـبأ هو البطل الأسطورى الذى اعتمد عليه كل من نسب إلى الشيعة ما ليس لهم به علم، وتكلم عنهم جهلا وخطأ، أو نفاقا وافتراء. ويستشـــهد أيضا بقول الدكتور عبد الله فياض: إن ابن ســـبأ كان شخصية أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، وذلك فى كتابه (تاريخ الإمامة) طبعة بغداد ويستشهد بغيرهم من الباحثين القدامى والمحدثين.

ويقول الدكتور على النشـــار-وهو من أهم الباحثين فى فكر ومراجع الشـــيعة فى كتابه (نشـــأة الفكر الفلســـفى فى الإسلام)-: إن مؤرخى الشـــيعة الأقدمين اعتبروا عبدالله بن سبأ حقيقة تاريخية لا شك فيها. وأنه كان أول من بدأ الطعن على أبى بكر وعمـــر وعثمان والصحابة وأعلن التـــبرؤ منهم، ولكن كاتب الشـــيعة الكبير المعاصر الدكتـــور على الـــوردى يقدم تحليلا لقصة عبد الله بن ســـبأ وينتهى إلى إنكار وجود هذه الشخصية إطلاقا وأنه شخصية وهمية نسبت إليها العقائد الناشزة المنتشرة فى

كتب يلعنها أهل السُنّة والجماعة كما يلعنها الشيعة الإمامية أيضا، وقد انتهى الدكتور النشار من بحثه إلى احتمال أن تكون شخصية عبد الله بن سبأ شخصية مختلقة.

وكذلك يستبعد السيد محمد باقر الصدر نظرية نشأة الشيعة على يد عبد الله بن سبأ. كما يستبعد إرجاع نشأة التشيع إلى عهد خلافة الإمام علىّ وما هيأه من مقام سياسى واجتماعى على مسرح الأحداث، ثم يستبعد أن سبب ظهور الشيعة يرجع إلى أحداثَ سياسية متأخرة بعد مقتل الإمام علىّ والإمام الحسين. ويرى أن ما دعا إلى الافتراض بأن التشيع ظاهرة طارئة أن الشيعة كانوا فى صدر الإسلام قلة قليلة، فأوحى ذلك بأن وجودهم استثناء من القاعدة. ويرى أن التشيع كان موجودا فى عهد الرسول ﷺ دون أن توجد كلمة (الشيعة) فى اللغة السائدة فى ذلك الوقت، وأن التشيع كان يتمثل فى حب النبى وأهل بيته وذريته والولاء لهم.

وبالحماس للشيعة يقول السيد محمد باقر الصدر: إن أصول العقائد عند الشيعة محددة ومؤصلة بواسطة أمير المؤمنين علىّ نفسه، كما ذكر الشريف المرتضى فى كتابه (الأمالى): اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- وخطبه.. ولم تتبلور هذه الأصول عند أهل السُنّة إلا فى القرن الرابع الهجرى بواسطة أبى الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٢٤ هـ، وأبى منصور الماتريدى المتوفى سنة ٣٣٣ هـ، كما أن الشيعة كانوا أيضا أسبق من أهل السُنّة فى الفروع الفقهية، وتأصيلها، حيث بدأ ذلك عند الشيعة بأمير المؤمنين عليه السلام، وتم تأصيله بواسطة الإمام جعفر الصادق الذى تتلمذ عليه لمدة سنتين أبو حنيفة النعمان صاحب أقدم المذاهب الفقهية السنية،وقد عبر عن ذلك أبو حنيفة بقوله: (لولا السنتان لهلك النعمان).

□□□

فى الإجابة عن سؤال: كيف ولد التشيع؟ يقول السيد محمد باقر الصدر إنه ولد نتيجة طبيعية للإسلام، لأن النبى ﷺ كان يباشر قيادة انقلابية،وعملية تغيير

شـــامل للمجتمع ونظمه ومفاهيمه، وكان الطريق طويلا أمـــام عملية التغيير، فكان على الدعوة التى يمارســـها النبىﷺ أن تبدأ بإنسان الجاهلية فتنشئه إنشاء جديدا وتجعل منه الإنســـان الإسلامى، وكان لابد من مواصلة الطريق بعد وفاة النبىﷺ، وكان أمام الرســـولﷺ أن يترك مســـتقبل الدعوة بعده للظروف والصدف وهذه الســـلبية لا يمكن افتراضها فى النبىﷺ، كما أن خطورة الموقف بعد وفاة النبىﷺ لم تكـــن تخفى على خاتم الأنبياء، كما أن حرص النبىﷺ على الدعوة كان يحتم أن يوحى بمن يخلفه.

والســـيد محمد باقر الصدر يستبعد القول بأن الرسولﷺ ترك الخلافة ليقررها المسلمون بالشورى، ويرى أن الرسولﷺ لم يمارس عملية إعداد المسلمين للأخذ بنظام الشورى، ويغفل قول الرسولﷺ فى المواقف الحاسمة: "أيها الناس أشيروا علىّ". لكنه ينكر الشورى فى دعوة الرسول وسلوكه ومنهجه ليصل إلى أن اتجاه الرسولﷺ كان إلى خلافة أهل البيت وأنه أوصى بذلك وكان يتولى إعداد على بن أبى طالب لهذه الخلافة.

أما طه حسين فيرى أن نشأة الشيعة كانت عقب مقتل عثمان والحيرة التى انتابت المســـلمين. وكان الثائـــرون على عثمان قد ملئوا المدينـــة خوفا ورعبا حتى إن دفن الخليفة المقتول تم فى الليل. وكان لابد من وجود إمام فى أسرع وقت قبل أن يرسل معاوية جيشه إلى المدينة ليخضعها لسلطانه ويعاقب الثائرين على ما فعلوا. وكانت الأهـــواء مختلفة: هوى أهل مصر مع علـــىّ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير، وهوى أهل البصرة مع طلحة، وامتنع الثلاثة عن قبول الإمامة، واتجه الرأى إلى علىّ فتوجه إليه المهاجـــرون والأنصار يلحون عليه فى قبول الإمامة ولم يجد علىّ ســـبيلا للامتناع، فجلـــس للبيعة على منبر النبى كما جلس الخلفـــاء قبله وأقبل الناس. فبايعوه، ولكن البعض رفض أن يبايعه ومنهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب

وطلحة والزبير. وتمت البيعة لعلىّ فى المدينة بعد مقتل عثمان بخمسة أو ثمانية أيام حسب الروايات، واستقام الأمر لعلىّ فى الحجاز والكوفة والبصرة ومصر ولكن الشام كانت تحت حكم معاوية ابن عم عثمان. واشتعلت الخصومة القديمة بين بنى أمية وبنى هاشم، وظهرت ضغائن وصلت إلى حد اشتراك أم المؤمنين السيدة عائشة فى قتال علىّ فى واقعة الجمل، ثم تلبية علىّ لدعوة أهل العراق ومقتله هناك، ثم دعوة الإمام الحسين إلى العراق ومقتله هو وكثير من أهل البيت فى ملحمة مليئة بالدم والقسوة. ومن هنا نشأت الشيعة وتكونت عقائد ومعتقدات نابعة من التعاطف والحب لأهل البيت والمبالغة فى ذلك.

والدكتور عبد المنعم النمر يرى أن نشأة الشيعة جاءت بعد مقتل الحسين، فقد عاد الذين تخاذلوا عن نصرته وأسلموه لجيش يزيد يؤنبون أنفسهم فصار معظمهم أشد التصاقا بأهل البيت عما كانوا عليه من قبل تعويضا عن خطيئتهم وناصبوا الأمويين العداء. والفرس الذين أسلموا عن صدق أو تظاهر واعتقدوا أن الحكم يجب أن يستمر فى آل البيت كما يستمر الملك، فجعهم ما حدث فتحمسوا أكثر لآل البيت صدقا أو تظاهرا، ووجد الحاقدون فرصة لتنفيذ خططهم المسمومة ضد الإسلام فى هذا الجو.

وفى تحليل العقاد لأسباب ظهور الشيعة فى كتابه (عبقرية الإمام) يقول: إن فى سيرة على بن أبى طالب ملتقى الواقع بالخيال، فهو الشجاع الذى نزعت به الشاعرية الإنسانية منزع الحقيقة ومنزع التخيل، ألم يحارب المردة فى فلواتها؟ ألم يخلق له الرواة أندادا من المبارزين لم يخلقهم الله؟ ألم يستصغر عليه للحبون المغالون فى الحب أن يصرع خصومه فانشئوا له من الخصوم المغلوبين من لم يعرفهم ولم يعرفوه؟ ألم يوشك من وصفوه ووصفوا وقعاته أن يلحقوه بأبطال الأساطير؟ وتلتقى سيرته بالفكر كما تلتقى بالخيال والعاطفة لأنه صاحب آراء فى

التصوف والشـريعة والأخلاق سـبقت جميع الآراء فى الثقافة الإسلامية، والذوق الأدبـى -أو الذوق الفنى- ملتقى بسـيرته كملتقى الفكـر والخيال والعاطفة لأنه كان أديبـا بليغا له نهج فى الأدب والبلاغة يقتدى به المقتدون.. لذلك ظهر الغلو فى حبه والغلـو فى العداء له، وبلغ حب بعضهم أن رفعوه إلى مرتبة الآلهة، وبلغ من كراهة بعضهم إياه أن حكموا عليه بالمروق من الدين.

أما أسـتاذنا الشيخ محمد أبو زهرة فإنه يرى أن البيت العلوى بعد مقتل الشهيد ابن الشـهيد وأبى الشهداء الحسـين بن على رضى الله عنهما، انصرف آل البيت إلى العلـم النبوى يتدارسـونه وبعدوا عن السياسـة لأنهم ذاقـوا مرارتها، فعلىّ زيـن العابدين كان إمام المدينـة نبلاً وعلما، وابنه محمد الباقر كان وريثه فى إمامة العلم ونبل الهداية، وكان ممن يزوره علماء من الذين يتشيعون لآل البيت وعلماء من أهل السُـنّة، وكان يقصده بعض المنحرفين الغلاة فى تشيعهم الذين أفرطوا فكان يبين لهم الحق، فإن اهتدوا أخذ بيدهم إلى الحق الكامل، وإن اسـتمروا على غيهم صدهم وأخرجهم من مجلسه، وكان يقصده من أئمة الفقه والحديث كثيرون منهم سفيان الثورى، وسفيان بن عيينه محدث مكة، ومنهم أبو حنيفة فقيه العراق.

وقـد راجت حول الإمام علىّ والأئمة من بعده أسـاطير فيهـا مبالغات كثيرة، يقول البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق): إن عبد الله بن سبأ زعم بعد مقتل الإمام علىّ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانا تصور للناس فى صورة علىّ، أما الإمام على فقد صعد إلى السماء كما صعد عيسى بن مريم عليه السلام، وكذبت الخوارج فى دعواها قتل علىّ، والقائلون بقتل علىّ إنما رأوا قتيلا يشـبهه فظنوا أنه هو بينما علىّ صعد فى السـماء وسـينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه.. وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، كما قادهم بحجته وبرهانه، وإنه يسمع النجوى، ويلمع فى الظلام.

هذا بعض ما ينسـب إلى عبد الله بن سبأ، وسواء كان شخصية حقيقية أم وهمية فقد كانت هناك فرقة اسمها (السبئية) نسبة إلى عبد الله بن سبأ، قالت ذلك وقالت

مـــا هو أكثر.. قالـــت إن عليا إله العالمين، وإنه توارى عن خلقه ســخطا منه عليهم وســـيظهر بعد ذلك، وقال البعض منهم إن عليا فى الســـحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وكانوا إذا رأوا السحاب أو سمعوا صوت الرعد قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

ويرى الدكتور النشـــار أن هذه ليســـت ســـوى آراء فولكلورية محمّلة بالحشـــو اليهودى والتى تنتشـــر عـــادة لتمجيد الأبطال الكبار حين يموتون ويشـــعر أتباعهم بالحســـرة عليهـــم، وقـــد كاد عمربـــن الخطاب أن يقـــع فى ذلك حـــين قيل له إن الرسولﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى فأعلن أن محمدا لم يمت، وإنما رُفع إلى السماء، وسيعود ثانية، قائلاً: والله ما مات رسول الله ولا يموت، وإنما تغيَّب كما غاب موسى أربعين ليلة ثم يعود، والله لأقطّعن أيدى قوم وأرجلهم.. لكن أبا بكر أســـكته بقوله: (من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) ثم قرأ قـــوله تعالى فى سورة آل عمران الآية ١٤٤:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾فرجع الناس إلى قول أبى بكر، وقال عمر: (والله لكأنى ما قرأتها قط ثم قال: لعمرى لقد أيقنت أنك ميت، ولكن أبدى الذى قلته الجزع).

□□□

وهكـــذا بدأت قصة الشـــيعة بحب النبى وآل بيته، ثم تحـــول الإمام علىّ فى نظر محبيه إلى أسطورة، ثم أصبح الإمام الحسين بطلا لأساطير كثيرة، ودخل فى الشيعة من ليـــس منهم منتهزاً فرصة معارضتهم للحكم القائـــم ليدس أفكارا ومعتقدات ليســـت من التشيع وليست من الإسلام، وهؤلاء هم الذين أساءوا إلى الشيعة حين ظن أهل السُنّة أن هذه الأقوال الغريبة هى أقوال الشيعة جميعا.

ولذلك فإن قصة الشيعة معقدة، من أراد أن يفهمها عليه أن يكون رفيقا ومتفهما للظروف والدوافع، ويكون قادرا على التمييز بين ما هو من مذهب الشيعة وما هو

دخيل ومدســوس عليهم، وأن يفرق بين فكر المذهب الآن وأفكار فرق قديمة ضالة، كانت تدعى أنها من الشيعة وقد اندثرت وبقى ذكرها فى الكتب القديمة يرجع إليها من يريد أن يسىء إلى الشيعة جميعا.

وفى النهاية فإن من آمن بالله ربا، وبالإســلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، ولم ينكر أو يتنكر لأركان الإسلام الخمسة، فهو مسلم. وهذا ما ينطبق على الشيعة الإمامية والزيدية، وإن كانت لهم آراء تخالف آراء أهل السُــنّة فى قضايا معينة فإن حسابهم وحسابنا أمام الله وحده.